

لقد قرر في هذا الفصل وغيره من الفصول أن العمدة في ادراك البلاغة الذوق والاحساس الروحاني ومن عدم ذلك كان بمنأى عن فهم الادب وتذوقه والغوص على جواهره . ويتضح صدق كلامه في تعليقه على الآيات الكريمة والابيات الرفيعة ، فقد اتخذ الذوق مقياساً يزن به الكلام إلى جانب موازينه الاخرى ، وهو في هذا التحليل كثيراً ما يقف عند الالفاظ منبهاً اليها ومعجباً مما فيها ، وهو في ذلك يولي التأثير النفسي عناية كبيرة ولذلك اعتبره المحدثون من النقاد الذين أشاروا إلى ربط الادب بالنفس وأقام آراءه وتعليقاته عليها ، فهو خالد في الدراسات النقدية لانه وفق بين ما يتطلبه الذوق الادبي ومناهج التفكير الموضوعي المنظم ، وكان كتابه « أسرار البلاغة » رسالة نفسية ذوقية في نواحي التأثير الادبي فكرتها الرئيسية هي أن مقياس الجودة الادبية تأثير الصور البيانية في نفس متذوقها ، وهذه النظرية التأثيرية في جودة الادب « جزء من تفكير سيكولوجي أعم يطبع كتاب الاسرار كله بطابعه ، فالمؤلف لا يفتأ يدعوك بين لحظة وأخرى إلى تجربة الطريقة النفسانية التي يسميها المحدثون الفحص الباطني وذلك أن تقرأ الشعر وتراقب نفسك عند قراءته وبعدها تتأمل ما يعرورك من الهزة والارتياح والطرب والاستحسان وتحاول أن تفكر في مصادر هذا الاحساس « إذا رأيتك قد ارتحت واهتزت واستحسنت فانظر إلى حركات الاريجية ممّ كانت وعند ماذا ظهرت » . ثم يخوض بك في سيكولوجية الالف والغرابية ، والعيان والمشاهدة والخلاف والوفاق والسهولة والتعقيد وأثر كل منها على النفس ، ويتعرض لشرح الادراك وقيامه أولاً على المعلومات التي ترد من طريق الحس ثم ازدياد ثروته بعد ذلك من طريق الروية والتأمل ويميز لك بين ادراك الشيء جملة وادراكه تفصيلاً فيحدثك هنا حديثاً يدرك بالنظرية الحديثة التي يسميها علماء النفس نظرية الجشتالت أو الهيكل العام والتي تقوم في أساسها على اعتبار أن الادراك ليس مجموعة حسوس جزئية تتضام فتؤلف الشيء المدرك في ذهنك ولكن الفكر ينفذ في اللمحة الاولى بنوع من البصيرة إلى هيكل الشيء جملة ثم يتبين بعد تفاصيله ودقائق أجزائه وما بينها